

الحشرات المسحورة

علاء الدين طعيمة

دار الدعوة







دار الدعوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ — ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

مغامرات عجيبة جداً

جوهرة الحشرات المسعورة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع القانوني: ٢٠٠٦/٢١٩٩٤
الترقيم الدولي: 8 - 408 - 253 - 977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

تليفون المؤلف: ٠١٢/٣٧٨٢٩٦٤ - ٠٢/٤٣٦٢٩٨٠

مغامرات مؤمن

جوهرة الحشرات المسعورة

تأليف:
علاء الدين طعيمة

رسوم
عبد الرحمن بكر





مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر فى رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر وعجائب من الإنس والجن والأحياء والأموات، وفى كل مغامرة -بعد العناء والصراع مع المكان والزمان- يفلح فى إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

تعتبر الحشرات من أقدم المخلوقات على ظهر الأرض.. حيث إنها خُلقت قبل الإنسان بملايين السنين.. وبعضها مازال على حالته وشكله منذ ذلك الحين.. وهى مخلوقات عجيبة، معقدة فى تركيبها وتشريحها وما تقوم به فى الطبيعة من مهام ووظائف.

وقد عثر الإنسان على حفريات بالغة القدم تحتوى على حشرات موغلة فى الزمن.. وهى تعد بملايين الأنواع.. ويصعب فى الحقيقة تصنيفها.. لكنها فى النهاية تقف كمعجزة من معجزات الله تعالى فى الخلق. ويكفى أن العلم الحديث استطاع أن يرى ما فوق

البعوضة، فكان قديمًا يحار في تفسير آية من القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

ما الذى فوق البعوضة.. الذى ضرب الله تعالى به المثل.. لقد عثر الباحثون لما استعملوا المجهر الإلكترونى الدقيق لرؤية ما فوق البعوضة.. على كائن بالغ الدقة لا يعيش إلا فوق ظهر البعوضة.. فسبحان الله وصدق رسوله الكريم فيما بلَّغ عن رب العزة.. والبعوضة حشرة عجيبة.. فهى تحمل على

رأسها مائة عين.. ولها ثمانية وأربعون سنة فى فمها.. ولها خرطوم به ست سكاكين حادة.. وفى جوفها ثلاثة قلوب، وتستطيع أن تشم رائحة عرق الإنسان من على بعد يزيد عن الستين كيلو مترا.. ولديها خاصية الرؤية الحرارية.. فهى ترى جلد الإنسان فى الظلام بلون بنفسجى.. وهى تتغذى بنهم على دم الإنسان والحيوانات الأخرى.. وهى تميع الدم حتى تتمكن من امتصاصه بسهولة.. وتحمل جهازًا للتخدير حتى لا يشعر الإنسان بلدغتها، لكنها تسكب فى الدم مادة توكسينية تعمل على تجميعه مما يسبب حرقانًا فى الجلد فيشعر الإنسان بلدغتها.. وهى نظرًا لتَنقُلها بين الحيوان والإنسان والمستنقعات

والبـرك.. يمكن أن تنقل العـديد من الأمـراض مـثل الملاريا القـاتلة.. ومـع ذلك فـهى أضـعف من نشـارة الورق ويمكن قتلها بسهولة.

فهى فى النـهاية حشـرة ضعيـفة صـغيرة يسـتهـين بها البـعض.. ويعدها البـعض من أقوى الكائنات علـى وجه الأرض.. ويكثر وجودها فى القرى والـريف حيث تنتشر المستنقعـات والمياه الراكدة التى بيئـة خصبة لنمـوها. كما حـدث بالضـبط فى هذه الـقريـة الواقـعـة على طرف من أطراف نهر دجلة فى بلاد ما بين النهرين.. فرافد من دجلة تُغذى هذه الجـهة بترع صغيـرة كثيـرة وحولهـا المصارف والبرك، وبالتالى كثيرا ما نجد البيئة الرطبة العفنة التى ترتع فيها كائنات حشرية كثيرة من ضمنها الباعوض.

لم يكن بطلنا الحبيب مؤمن يعرف معنى الكلمة التى سميت بها تلك القرية حتى خرج من مصر ساعيًا للوصول إليها.. وعلم فى طريقه اسمها وتأكد له أن مغامرة ستقابله بها. لكنه لما حط الرحل بها.. دخلها فلم ير فيها ما يدعو إلى المغامرة أو الإثارة.. فكل شىء هادئ.. الناس يزرعون حقولهم.. الأغنام ترعى.. الماشية تؤدى دورها.. الشمس تشرق كل صباح والقمر يزين صدر سماء القرية.. حتى الحرفيون فيها ينعمون برزق الله الحلال.. فهناك حلاق القرية والنجار والحداد وغيرهم.. نزل مؤمن بشىء يشبه الفندق يسمى نُزل القرية.. وهو بيت مكون من غرف كثيرة يعد دائمًا لاستقبال الزائرين أو عابرى السبيل.. وتقدم فيه الخدمة مجانًا حيث يقوم

عليه أغنياء القرية بالرعاية معتبرين ذلك صدقة جارية تقدم لابن السبيل والغرباء والمسافرين.

ومقدم الخدمة فى هذا النُزل رجل كهل من أهل القرية وابنته الشابة التى تكبر مؤمن بسبع سنين.. نهى تغسل وتكنس وتعد الطعام، ويقوم والدها بتقديمه للنزلاء.

أمضى مؤمن فى هذا النُزل ما يزيد على الأسبوع.. كل يوم يتنقل بين شوارع القرية وأزقتها.. وكلما علم أحدهم أنه من مصر رحب به وأضافه، ولما مر هذا الوقت الطويل بلا جديد قرر أن يعود أدراجه إلى مصر مستشعراً الإحباط والفشل واليأس.. ولكن شيئًا فى صدره كانت تحدثه به نفسه دائمًا أن التاج لم

يخطئ أبدًا.. أكثر من سبعين مغامرة صدق التاج فى تحديد وجهتها.

تعرف على شاب فى مثل سنه اسمه زياد.. عندها استضافه الشيخ أبو زياد فى داره لطعام الغداء.. وبعد الأكل دار حوار:

- أخبرنى يا مؤمن.. هل تتوقع مغامرة فى قريتنا هذه؟

- هذا ما أخبرنى به التاج يا شيخ أبو زياد.

ضحك أبو زياد وقال:

- ولدت فى هذه القرية.. ودرست القرآن وعلومه فى مصر، فى الأزهر.. وعدت لأمضى بقية عمرى خطيبًا للمسجد هنا.. فلم أر الحياة فى قريتنا تحتمل شيئًا إضافيًا فوق روتين الحياة اليومية.. ورتابة القرية.. فلم

يتغير أى شىء منذ أن كنت صغيراً.. وها هو زياد ابنى.. فليخبرك هل تغير شىء عندنا منذ ولد إلى الآن.

تكلم زياد وقال لمؤمن:

- فى الحقيقة يا مؤمن.. كل شىء كما هو لم يتغير.. سوى أننا لو تفحصنا الأمر سنجد أن هناك تغييراً.. وهذا التغيير يعلمه أبى. تجهم الشيخ ونظر لابنه محاولاً من النظر فى عينيه أن يستنبط ما لم يتوصل هو إليه، لكن زياد قال:

- فى الحقيقة يا مؤمن.. أنا منذ أن كنت صغيراً وأنا أحضر الدروس والخطب التى يتلوها أبى ويعلِّمها لأهل القرية.. ولأنه لا شىء يتغير فى قريتنا، فإن ما يتغير فى الباطن يصبح ملحوظًا.

قاطع الشيخ ابنه معترضًا:

- يا زياد يا ولدى.. لا تتصنع العلم وتحيرنا بالمراوغة.. أخبرنا يا ولدى.

ابتسم زيادة وقال:

- فى الحقيقة يا أبى.. فى الآونة الأخيرة لاحظت أن دروسك وخطبك تتغير عما سبق.. لقد أصبحت لا تتكلم إلا فى الصغائر ومحقرات الذنوب.. وهذا يدل على أنك بدأت تلحظ تغييراً فى سلوك أهل القرية.. وأنك تخاف عليهم من الصغائر التى كثرت وزادت، وأصبحت ترى أن القرية تتغير بسبب هذه الصغائر.. وهذا تغيير قد لاحظته أنا أيضًا. ابتسم الشيخ أبو زياد وربت على كتف ابنه وقال:

- بورك فيك يا زياد.. بعد حديثك هذا أجدنى لا أخشى عليك من أحداث الزمان.. معك حق.. لقد أصبت يا زياد.. الحقيقة يا مؤمن.. أن هذا التغيير هو ما يمكننا إخبارك به.

قال مؤمن متسائلاً:

- تقصد يا سيدى أن أهل القرية أصبحوا يكثرون من ارتكاب الصغائر.

اعتدل الشيخ فى مجلسه وقال:

- اعلم يا مؤمن أن الإنسان مجبول على ارتكاب الخطأ.. خاصة صغائر الأمور.. ولا يسلم الإنسان من ارتكابها.. لكن المشكلة والقضية الكبرى ألا يهتم الإنسان لذلك.. المعضلة أن يرى الإنسان أن الصغائر

والذنوب التافهة واللمم مجرد صغائر لا يعتد لها.

وأن الله يغفرها وإن لم يستغفروا...

تنحنح مؤمن ثم قال:

- اذكر يا سيدى الشيخ أن الرسول ﷺ قد حذر الناس من الصغائر.. عندما قال عليه الصلاة والسلام: «إياكم ومحقرات الذنوب.. فإنهن يجتمعن على العبد حتى يهلكنه».

قال زياد من فوره:

- اذكر يا مؤمن ما حكاه أبى فى آخر درس له عن ذلك عندما أخبرنا بما قاله الرسول ﷺ ضاربًا المثل.. كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود والرجل

يجىء بالعـود حـتى جـمـعـوا سـوادًا فـأججـوا نارًا وأنضـجوا مـا قذفـوا فيـها.. وهذا يدل على أن العـود الرفيع الخفيف فوق العود يمكن أن يجتمعوا فيصبحوا نارًا متأججة، وهذا مثل الصغائر من الذنوب.

دار الحـديث فـتـرة وبعـده تقــارب الود بين مـؤمن وزياد.. وقررا أن يفـعلا شيئًـا من أجل القرية، بالذهاب إلى عــمــدتها الشـيخ دعــبس، للتبـاحث معـه فى أمـر الصغائر، والقيام بحملة توعية من أجل ذلك.

كان مـؤمن جالسًـا فى حضـرة الشيخ دعـبس وزياد يناقشه بينما تعجب من شكل العصا التى يحملها الشيخ دعـبس وتعبـث بها أنامله بيـن الحين والآخـر، ولاحظ الرجل اهتمامه بها فقدمها له:

- تفضل يا مؤمن.. أرى أنك مهتم لأمر هذه العصا.. شاهدها عن كثب.. تناول مؤمن العصا وهو فى حالة من الدهشة والتعجب.. كانت عصا الشيخ رفيعة، من خشب الأبنوس الأسود وهى مستقيمة لا عوج فيها.. ويعلوها رأس هو ما أدهش مؤمن.. فهو عبارة عن خرزة كبيرة من الكهرمان المشمشى الشفاف وبداخلها بعوضة تظهر للوهلة الأولى كأنها على قيد الحياة.. أخذ يتفحصها وكان لأول مرة فى حياته يرى شيئًا كهذا.

- عجبا يا شيخ دعبس.. كيف.. كيف بالله عليك وضعت البعوضة داخل هذه الكهرمانة هكذا.

- ضحك الشيخ دعبس بشدة وتناول منه العصا وهو فى ذات الوقت يشرح له:

- هذه الكهرمانة يا مؤمن ورثتها عن جدى عن جد جد جدى.. حتى أن أبى رحمة الله عليه كان يقول لى إنها من عصور سحيقة.

- سبحان الله.. ومن وضع البعوضة بداخلها.

- لم يضع أحد البعوضة بداخلها يا ولدى.. إنما الحقيقة أن هذا الحجر الكريم فى يوم من الأيام كان سائلاً فسقط على هذا البعوضة ثم تجمد فوقها فحفظها بداخله دون أن يصيبها التلف.. ثم عثر عليه إنسان وصنع منها هذه العصا الجميلة.

- يا للبعوضة المسكينة.. لو كانت كبيرة لما استطاع السائل أن يحتويها هكذا، لكنها صغيرة.. صغيرة يا زياد.. هل رأيتها؟

- نعم يا مؤمن.. إنها لبديعة حقًا.. هاهاها.. إنها صغيرة حقًا.

فشلت حملة مؤمن وزياد فى توعية أهل القرية بضرورة ترك الصغائر والترفع عن محقرات وتوافه الذنوب.. فكان الناس وما يزالون ينقضون العهد ويخلفون الوعد.. يذكر بعضهم بعضًا بالسوء.. يتكبرون.. لا يتورعون..لا يدفعهم الحياء عن ترك النظرة الحرام.. فتوقع الشيخ أبو زياد أن يلم بالقرية بلاء يذكرهم بخطورة حالهم.

وحدث ما توقعه الأربعة: مؤمن وزياد والشيخ أبو زياد والشيخ دعبس.. فقد قام أحد الفلاحين ذات صباح يجرى ويصرخ فى أزقة القرية ويبكى من أجل بقرته الوحيدة:

- أغيثونى أيها الناس.. لقد ماتت بقرتى.. ضاع رأسمالى.

لم يكن هذا أول حادث لموت الماشية فى القرية.. فهو أمر وارد الحدوث بين الحين والآخر.. لكن هذه المرة كان الأمر فظيعًا.

جرى مؤمن وزياد والشيخ دعبس مع رهط من رجال القرية ليجدوا البقرة المسكينة جلدًا على عظم.. وقد امتلأ جلدها بحبيبات حمراء ملتهبة، وبعد أن فحصوها بعناية تبين للجميع أن البعوض قد تكتل عليها وشفط كل ما بجسدها من سوائل حتى سقطت صريعة.

جرى كل واحد إلى بيته.. وأخذ الناس العجب مما حدث.. من أين أتى كل هذا الكم من البعوض.. ولماذا



أصبح البعوض الصغير الحقير فى حجمه كبيراً ومهلكًا إلى هذا الحد.

ومضت الأيام والناس لا يفتأون يذكرون هذه الحادثة حتى نسوها بعد ذلك.. ولكن مؤمن وزياد لم ينسياها.. وتوقعا أن تحدث مرة أخرى وقد كان.

عندما كانا يمشيان على جسر يربط القرية بأرض جرداء عثروا على كلب صريع بنفس الطريقة التى صُرعت بها البقرة من قبل:

- مؤمن.. هل ترى.
- نعم يا زياد.. أمر مؤسف ومخيف فى ذات الوقت.
- وما العمل.. هيا بنا ندفنه.
- يجب أن نذيع الخبر فى الناس حتى يحترسوا لماشيتهم.

- انتظر يا مؤمن.. أنا أسمع صراخًا يأتى من جهة القرية.. هيا.

- هيا .. أسرع يا زياد.

ولما دخلا القرية إذا بالناس يتجمهرون حول امرأة عجوز منكفئة على جاموستها الصريعة بنفس الطريقة.. البعوض مصاص الدماء.

جرى الشيخ أبو زياد إلى المسجد ودعا الناس إلى مؤتمر شعبى عاجل وامتلأ المسجد بالناس وضج بهم لأول مرة وأخذ ينصحهم:

- أيها الناس.. نحن لا نعرف من أين يأتى هذا البعوض ولا كيف يباغتنا ويلتهم ماشيتنا.. عليكم بتحصين بيوتكم ضد البعوض.. اتبعوا كل ما لديكم

من وسائل السلامة.. واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه من ذنوبكم.. فما نزل من قوم بلاء إلا بذنوبهم. وانصرف الناس يجرون إلى بيوتهم.. وقد غدا البعوض عدواً لهم.. لكن.. إنه فى الأصل ضيف ثقيل على أى بيت من بيوت القرية.. ما إن تدخل قرية فى ربوعنا إلا وكل بيت إذا جن الليل يعيش فيه البعوض.. بل إن أكثرهم يتحملون لدغته بلا أدنى شعور.. ويهشه الآخرون عن أطفالهم بلا اكتراث.. فكيف سيعملون منذ تلك اللحظة على طرده تماماً من البيوت؟

لم تنم عينا مؤمن فى تلك الليلة.. ظل جالساً فى ردهة البيت أو النُّزل الذى يقيم فيه وينظر إلى

الجدران ويرى البعوض متناثرًا هنا وهناك يحوم البعض منه حول الشمعات التى تضىء النزل.. فقام من مكانه وتوجه بحرص وهدوء حذر إلى الجدار واقترب من بعوضة صغيرة وظل محدقًا بها يتأمل شكلها ويقارن بين حجمها وعظم خطرها الذى يهدد الماشية.

ثم بعد قليل غادرها متجهًا إلى فراشه. وفجأة توقف.. وعاد ينظر للبعوضة مليًا.. ثم مد راحته الصغيرة نحوها وبسرعة خاطفة قبض عليها مطبقًا حولها راحته فى تجويف يسمح لها بأن تظل حية ونادى على الفتاة خادمة النزل وطلب منها أن تحضر له برطمانًا زجاجيًا، ثم وضع فيه البعوضة وأغلق فوقها غطاءً من

الشاش يسمح لها بالتنفس.. ووضع البرطمان بجانب فراشه ونام وهو عازم على أن يتجه فى الصباح إلى زياد ويتباحث معه فى أمرها:

- زياد.. انظر إلى هذه البعوضة.

- ماذا بها يا مؤمن.. هى بعوضة مثل أى بعوضة.. هل تميزها بشىء.

- لا.. هى فعلاً عادية.. لكن ما أثار دهشتى هو حجم خرطومها الذى لا يكاد يبين.

- ماذا فى حجم خرطومها.

- لو لسعتنى به الآن لأحدثت على جلدى تورمًا بحجم لا يزيد عن رأس الدبوس.

- ماذا تقصد يا مؤمن.

- أقصد أن التورمات الجلدية التى رأيناها على جسد البقرة أو الجاموسة أو الكلب كانت بحجم يزيد عن ما تصنعه هذه البعوضة بكثير.

- مؤمن.. ماذا يعنى كلامك بالله عليك.. أرجوك لا تفكر هكذا.

- بل لقد أدركت مقصدى يا زياد.. هذه البعوضة فى البرطمان تصنع رأس دبوس على الجلد بعد لدغتها.. فكيف يكون حجم البعوضة التى صنعت على جسد البقرة أورامًا الواحد منها بحجم كف يدى المفرود.

- مؤمن!! هذا مستحيل.. إنه مجرد خيال.. لماذا.. لماذا لا تقل إنه كلما غابت البعوضة تلسع وتمص كلما زاد حجم الورم.

- زياد.. إن المستودع الذى تخزن فيه هذه البعوضة الدم صغير جداً.. ولو انتفخ عن آخره.. لن يلبث ذلك ثوانى معدودة.

- ما ترمى إليه أمر خطير يا مؤمن.. لو كان ما تدعيه الآن لأصبح الأمر مخيفًا وفظيعًا..

- أخبرنى يا زياد.. بما أنك تحب الرياضة والحساب.. كم يبلغ حجم البعوضة التى قتلت البقرة.

- هكذا.. هكذا.. يا مؤمن يكون حجم الواحدة منها.. سيكون بحجم.. بحجم الإنسان.

- يا إلهى.. يا إلهى.

- مؤمن.. هذا لا يعقل.. لم نر أبدًا بعوضًا بهذا الحجم.. وإذا كان.. فأين يمكن أن يختبئ.

- هذا أمر آخر يا زياد.. لكن لابد من أن نتيقن من صحة هذا الاستنتاج.

- كيف بالله عليك.

- لا أدرى.. لابد أن نكون حاضرين حين تحدث مصيبة أخرى.

كانا فى شغل كبير بحديثهما المتوتر القلق، عندما اندلع صراخ آخر، فخرجا مسرعين ليجدا الناس يجرون، فجريا معهم حتى بلغوا حظيرة كبيرة يملكها أحد أثرياء القرية.. كانت تضم عدداً كبيراً من الجاموس والبقر والجمال.. كانت جدرانها محطمة.. وكانت لا تضم الآن سوى جثث كل ما كان بها من ماشية.

وقف الناس فى ذهول كبير ولم يفجعهم هذه المرة فداحة المصيبة على كبرها فى الأغنام والماشية بقدر ما هالهم الحطام الذى لحق بالحظيرة الكبيرة، وجعل كل واحد يتساءل: «كيف تحطمت هذه الحظيرة الخشبية الكبيرة.. ومن الذى حطمها.. وهل البعوض بهذه القوة العددية حتى يحطم الأخشاب.. الخطر أصبح يهدد الجميع.. وانتقل الخوف على البهائم والأغنام والحيوانات إلى الخوف على الإنسان.. والأطفال والعجائز ممن لا يقدرون على دفع أذى البعوض عنهم.

كان الشيخ أبو زياد يعظ الناس بعد صلاة الجمعة.. فطلب مؤمن الإذن أن يتحدث إليهم فقابلوا كلامه باهتمام شديد:

أيها الناس.. دعونا لا نقلل من شأن الخطر الذى أصبح يحدق بالقرية.. اعلموا أن ما قاله الشيخ أبو زياد هو الحق.. والحقيقة، فكم حذركم من التمادى فى ارتكاب الصغائر.. وكم نبهكم إلى أن الصغيرة إذا أصر عليها العبد تتحول إلى كبيرة.. وها هو الله عز وجل يرسل إليكم صغيرة.. يرسل إليكم مخلوقًا ضعيفًا من خلقه ومن جنده يضرب لكم به المثل حتى تدركوا أن الصغيرة من الذنوب يمكن أن تصبح كبيرة حتى تهددنا بهذا الشكل..

قام رجل من الناس وقد دفعه الخوف إلى المقاطعة قائلاً:

- وماذا عسانا أن نفعل يا ولدى بالله عليك.

صاح مؤمن وقد تحمس لما وجد الاستجابة من الحضور وقال:

- نسارع بالتوبة.. ندعو الله تعالى ونطلب منه المغفرة.. نتوب ونعزم على ألا نعود للذنب مرة أخرى، ونحرص على ألا نرتكب الكبائر ولا الصغائر.. فإذا أخطأ الواحد منا مرة يتدارك نفسه ويستغفر ولا يستهين أبدًا أبدًا بالتوافه من الذنوب.. فكم من أمور نفعلها اليوم ولا نأبه لها.. كان يعدها الناس على عهد الرسول ﷺ من الكبائر.. واتعظوا بالبعوضة.. فكم هى -على صغرها وتفاهة حجمها- جعلتنا فى خوف وأصابتنا بالبلاء والأذى.

كان الناس يستقبلون حديث مؤمن بشغف وكانوا عطشى -بعد ما جرى- لموعظة تعيد إليهم رشدهم.. فعزم كل واحد منهم على التوبة.

وانصرفوا إلى بيوتهم وأعمالهم والدموع الحارة تنير وجوههم، وبدأ الحال يتغير.. وقلّت حوادث البعوض شيئًا فشيئًا حتى انعدمت.. وفرح الجميع بالأمان من الله.. وحلّت البركة على قريتهم.. وغاب مؤمن وقتًا طويلاً فى القرية، فأدخل فيها صناعة السلال من الغاب وفتح ورشة صغيرة يعلم فيها أبناء القرية هذه الحرفة التى ورثها عن أجداده.. ومرت سنة وأكثر ونسى كل شىء.

نسوا ذكريات البعوض كما نسوا الموعظة.. وعادت الصغائر مرة أخرى تتسلل، وعاد الشيخ أبو زياد من جديد يحذرهم منها، لكنهم هذه المرة لم يتعظوا، فالبلاء السابق لم يدم كثيرًا. وتذاكر زياد وأبوه ومؤمن والشيخ

دعبس الأحداث القديمة، وعادوا يتحسرون على العهد الجميل الذى لم يستمر طويلاً من الصلاح.

وفجأة وعلى حين غفلة.. ذات ليلة صيفية حارة جثمت فيها رطوبة الجو على الأنفاس.. لم يكن مستيقظًا من أهل القرية إلا القليل جدًا.. إذ بصوت رهيب يمر مسرعًا خارج البيوت فيوقظ كل النيام من شدته وفجأته.. حتى الأطفال أصابهم الفزع واشرأبت الأعناق من النوافذ فصفعتها ريح شديدة وقوية.. لم يكن غير صوت طنين بعوض.. طنين بعوض.. لكن بهذه الشدة وهذا الرعب؟!!.. لابد أنه سربٌ عرمرم.. مر وهو يطير مندفعًا بأبواب القرية ونوافذها فأصابها بالذعر.



لم ينم الناس تلك الليلة.. فالخوف هو الفراش والذعر هو اللحاف.. والتوجس المؤلم هو النعاس.. تسمع بالليل فقط دقدقات على مسامير.. إنهم يحكمون إغلاق كل المنافذ.. يوقد بعضهم حزمًا من الحطب ليطرد بدخانها البعوض القادم.

أخذت كل امرأة أولادها فى صدرها.. ظل الرجال مع ذلك يسدون الثغرات بالطين والقماش.. لكن هل تذكرون أنهم عادوا من حيث بدأوا.. وأن البلاء سيعود أيضًا.

وقبيل الفجر.. حيث لم تكن تُسمع إلا زقزقات العصافير والقرية يلفها الخوف من المصير المحتوم..

مر الصوت الرهيب.. فى سرعة وقوة مع ريح عظيمة ذات صرٍ مهيب.. ثم أعقب ذلك صوت تحطيم شديد

لحظيرة فى مكان ما.. أعقبه خوار وأنين لحيوانات يمص البعوض دمها بشراسة ودون رحمة أو هوادة.. فهل تجرأ أحد على الخروج من خلف بابه ليدافع عن نفسه أو عن جاره.. لا.. بل الجميع فى خوف يتربصون. كان مؤمن الوحيد المتحمس للمقاومة.. ولولا زياد وأبوه والشيخ دعبس لخرج وحده ليعرف ما الذى يجرى فى الشوارع.

- تعقل يا مؤمن.. ماذا ستفعل بالله عليك.

- لن أتمكن من البقاء هنا والبعوض يهلك الزرع والنسل.

- لا.. لقد هدأ كل شىء.. لم يعد هناك أذى آخر..

ولكن فجأة صدر صوت تحطيم آخر.. وتلاه ثالث ثم رابع وعلا صراخ النسوة يخدش حياء الفجر وهرج الناس فى بيوتهم.. فكأنك ترى البيوت من رجفتهم

ترتجف. وقاوم مؤمن معارضيه.. واستل سيفه وأخرج جواده من حظيرة النزل ثم انطلق وحده يبحث عن عدو القرية المخيف.

لم يؤذن أحد للفجر هذا الصباح.. وانبثق النور من خلف خط الأفق على استحياء.. ومؤمن.. يعدو بحصانه فى حالة من الغضب.. وأخذ يجوب أزقة القرية وحواريها.. يمر متأسفًا بحظائر القوم وقد عاث فيها البعوض فتركها خرابًا يعشش فيها الغربان والموت.

وفى اتجاه الغرب بينما يطارد المجهول، فجأة جذب اللجام وتوقف به الحصان ونظر فى دهشة وخوف حيث فلول السرب الرهيب تغادر القرية.. لقد رأى عجبًا تشيب له الولدان.

البعـوض يسد الأفق فى سرب لا نهـاية له.. الواحدة منهـا -كمـا توقع هو وزياد من قبل- فى حـجم الرجل البالغ.. بطونها منتـفخة حمراء من كثرة ما امتصت من دماء القرية.. تفر وهى تصدر صوتها الفظيع. كان سيفه مرفـوعًا لأعلى فنزل بهدوء، أمـا حصانـه فلم يكن يهدأ فهو أيضًا مذعور رغم أن البعوض يغادر مسرح الجريمة منتشيًا بنصره ونهمه وشرهه للدماء.

الشمس تسطع والقرية خامدة.. تطل عيون خائفة من الشقـوق لترى مؤمن يـسير بجـواده فى الشوارع فيـعود إليهم الاطمئنان.

يجـتمع كـبراء القـرية بأحداق ملتـهبـة حمـراء من السـهر وانعـدام النوم يتـباحـثـون فى الخطر الذى بات

يحدق بهم، ويخبرهم مؤمن بما توقعه ثم رآه بأم عينيه.. وعلموا جميعًا أنهم لا قبل لهم بملاقاة هذا العدو ولا الدفاع عن أنفسهم، فقام الكثير منهم بالنزوح عن القرية.. بينما زاد الآخرون من تحصيناتهم:

- زياد.. ماذا ترى يا زياد؟

- اسمع يا مؤمن.. فى بغداد.. عالم مشهور فى علم الحشرات سمعت به منذ زمن.. ما رأيك أن نذهب إليه فقد يفيدنا.

- فى بغداد؟.. اقتراح طيب يا زياد.. لكن كيف سنترك القرية وهى على ما هى عليه؟

- وما الذى نقدمه لها يا مؤمن.. أنا معك فى أن الناس أصبحوا يثقون بك ويعولون عليك فى تخليصهم من

هذا الخطر.. لكن نحن لم نقدم لهم أى معونة حقيقية حتى الآن.. وأرى لو جلسنا إلى عالم الحشرات فى بغداد فقد يمدنا بمعلومات تمكننا من معرفة كنه هذا الخطر ودرؤه عنا وعن قريتنا.

تنهد مؤمن ثم أطرق ثم عاد فرفع رأسه قائلاً:

- الأمر لله.. نذهب إلى بغداد.. وكان الله فى عون القرية.

إن الله تعالى.. ينفع الناس بمن فيهم من صالحين وأولياء، كما أن عبداً صالحًا تقيًا وحده يمنع عن قومه العاصين بلاءً كبيراً برضاء الله تعالى عنه. وكان مؤمن بورعه وتقواه أحد العوامل التى خففت عن القرية بأس البعوض بالرغم من مسه للحيوانات بالأذى.

وبعد أن تجهز مؤمن وزياد بمباركة من الشيخ أبى زياد والشـيخ دعبس للرحـيل من القرية فى سـفر يـدوم عدة أيام... حتى تغـير الوضع فيـها تمامًا. وأدرك الكثـير من أهلهـا أنه بعـد رحـيله منهـا سـوف ينقـطع عنهم الأمن والأمـان، لـذلك أحـاطوا به وحـاولوا أن يمنعـوه من السفـر.. فأخذ هو وزياد يشـرحان أهمـية هذه الرحلة.. حتى امتثل الجميع للحل المرير.

وخـرج مـؤمن فى النهـاية ولم يشـيعـه أحـد.. لأن الجمـيع رفضوا تـرك منازلهم وحصونهم التـى صنعوها خوفًا من خطر البعوض القاتل.

كان الطـريق إلى بغداد يحـتاج إلى عدة أيـام. أما فى القـرية فـالليل إذا حلت سـتـوره السـوداء لم تنم أعـين

الجبناء ولا الشجعان. فى الليلة الأولى فوجئ أهل القرية بطنين رهيب يغزو شوارعها الخالية.. وهذه المرة لم يرحل.. ولم يمر مروره الخاطف.. بل ظل فى المكان بلا انقطاع.

نظروا من خلف زجاج نوافذهم فهالهم المنظر المخيف.. بعوض فى حجم الإنسان يتزاحم حول الشرفات والنوافذ والأبواب... بقدر ما أشعرهم ذلك بالرعب بقدر ما حمدوا الله أن حجمه الكبير سيحول دون تسلله عبر الشقوق الصغيرة التى فى الجدارن بين الأخشاب.

لكن حجم البعوض الكبير كان يمنحه قوة فى دفع الأبواب نفسها. أهل البيوت الضعيفة والذين لم يتمكنوا من تقويتها كانوا فى حالة يرثى لها..

البعـوض يثيـر الذعر... يطن وهو غـاضب جائع... يضـرب بخـراطيـمـه المدببـة كل شىء يحـول بينه وبين فرائسه المذعورة.

هذه الجموع الجائـعة المفترسة تستـخدم ذكاءً حادًا... فهـا هى تتجـمع حول بيت مـن بيوت الفـلاحين.. كان لأحد المرابين بالقرية.. ورغم تكتل ثروته من الربا إلا أنه ومن شدة بخله لم يهتم ببيـته ولم ينفق مليمًا ولا درهمًا لإصلاحه... أدرك البعوض أن بيتـه يمكن اقتحامه بقليل من الجهد.

وقف عـبـاس المرابى وزوجتـه وابنه الوحـيـد بداخل البيت يصرخون فلا مجيب... أخذوا يقوون النوافذ من الداخل ويضـعـون خلفـهـا الدواليب وصناديق المتـاع..

البعوض يضرب البيت بخراطيم كأسنان السيوف... نظر عباس إلى الجدران من الداخل.. كانت تتشقق وتتصدع... استخدم كل شيء في البيت لسد هذه الشقوق.. فلو دخل البعوض من إحداها لهلك وهلكت أسرته معه... لم يجد شيئًا آخر يسد به الشقوق، فأتت زوجته تجرى حاملة رزمًا من الأوراق المالية التى كان يكتنزها من الحرام طيلة حياته ويبخل بها حتى على أهله ونفسه... أخذوا يسدون الشقوق بحزم النقود الورقية... لكن البعوض أصبح يزيد من هجومه وتجمعه على هذا البيت الواهن. حتى أن بعض الجيران تمكنوا من النظر على المشهد المخيف.

بيت المرابى لا يكاد يبين من كثـرة ما تزاحم حوله من بعوض مخيف لم ير الناس مثله من قبل.

ولم يفلح عـبـاس فى الدفـاع عن بيـته... فـقـد نجح البعوض فى اقـتحام البيت عليـه... وهربت زوجته إلى حـجـرة أخرى، ولكنـها مع ابنـها لم ينـجيـا من القـدر المحتوم.

انقض الموت عليهـم جميـعًا على هيئـة بعوض كبـير الحجم يثير الجو والتراب بأجنحته السريعة القوية... أخذ يعلو صـراخ الأسرة المسكينة والخـراطيم ذات السكاكين تحدث ثقوبًا فى أجسادهم وتسحب منها الدم بسرعة.

وبعد الجـهد والمغامرة.. همـدت الأنفاس... وهرب البعوض وقد انتشى بوجبة كبيرة.

دام البكاء بالناس طوال الليل... وفى الصباح التالى قاموا يتحدون ويتعاونون.... أنفق الأغنياء المال وصنعوا متاريس حول الأبواب وزادوا فى تحصين بيوتهم حتى تأكد لهم جميعًا أن هذا البعوض لن يقدر بأى حال على تكرار ما فعله فى بيت المرابى.

وفى الليلة التالية... جاء البعوض الجائع أسرابًا أسرابًا وأحاطوا بكل بيت وهم يشمون رائحة الدماء... لكن البيوت استعصت عليهم... فتركوها قرب الصباح فى غضب شديد، وقرر أهل القرية عمل شىء آخر لمقاومة الموت الطائر. أقاموا فى صعيد واحد وقام فيهم عمدتهم الشيخ دعبس قائلاً:

- يحظر على الجميع التجول فى شوارع القرية بعد غروب الشمس... أما فى حالة الضرورة.. فعلى المضطر أن يحمل شعلة من الحطب فى يده لأن البعوض سيحترق إن اقترب أو دنا منه وكرات من القماش المغموس فى النفط فإذا هجم البعوض فلنحاربهم بما أتانا الله تعالى من قوة.

واستمع الناس للنصائح، وعاد الشيخ أبو زياد ليذكرهم بأيام الله وما جنوه على أنفسهم من ظلم بالتمادى فى الذنوب الصغيرة وهم يقللون من خطرها... لكن هذه الذكرى لم تجد الآذان الصاغية، وذلك لأن القلوب قد تابت من قبل... وعاجل البلاء الشديد تذكر كل إنسان ما سعى وما أجرم فى جنب الله، فعاد من فوره يلوم نفسه ويرجع.

وصل مؤمن وزياد وقد قطعا المفازة على عجل، فنال منهما الإرهاق وأضناهما التعب فى السفر... ولم يهنأ لهما جنب ولم يطمئن لهما بال ولم يسأل أحدهما الناس إلا عن مكان الشيخ حمامة عالم الحشرات المشهور.

وأخذ الناس يدلونهما الواحد يسلم للآخر... حتى وصلا إلى مشارف بغداد على رابية عالية كانت هى التى يسكنها حمامة عالم الحشرات.

كان الشيخ حمامة من المعمرين... فهو شيخ هرم... يحيا وحده فى هذه القلعة الحشرية الكبرى والتى صارت فيما بعد متحفًا يضم نماذج لا تُعد ولا تُحصى من أصناف الحشرات المتباينة. فى شبابه أكثر الشيخ حمامة من السفر والترحال... فجاب العالم من مشرقه إلى مغربه، كل ما يهمه هو جمع الحشرات وتحنيطها.

فأصبح وليس على وجه الأرض أحد أفقه فى هذه المسائل منه.. كما أن لديه العديد من الذكريات الأخرى التى حملها معه من بلاد وبقاع شتى... لكنه دائم الاعتراف بفضل الله تعالى عليه إذ وفقه للسفر والمغامرات والترحال الذى منحه القوة البدنية والعافية حتى عبر حاجز المائة سنة.

استقبل حمامة العجوز مؤمن وزياد، متكئًا على عصاه وقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبًا... ورحب بهما وقدم لهما واجب الضيافة، لكنهما كانا فى حاجة إلى المعلومات أكثر من الطعام والشراب، فلما رأى ما هما عليه من شغف وقلق على أهل القرية... ترك عادته فى إمتاع الزائرين له باطلاعهم على متحفه الكبير... وذهب بهما إلى أكبر قاعة فى قلعته العتيدة حيث رأى مؤمن لأول مرة فى حياته مكتبة للحشرات المحنطة:



- سيدى الشيخ حمامة... هل يمكن أن يحدث ما حدث لقريتنا.

- لقد تركت كـل ما بيدى من أجل الاستمـاع إليكما، فاشرحـا لى الأمر بهدوء وتفصيل. قـال مؤمن بعد أن وضع يده على كتف زياد لينوب هو عنه بالحديث:

- سيـدى الشيخ.. لقد أصـيبت قرية أخى زياد بهـجوم شرس من حـشرة البـعوض، وقـد تركناهم والله يعلم وحده مصيرهم، على أمل أن تجد عندك طريقة لمقاومة ذلك البعوض الشرس.

- البـعـوض يا مـؤمن يا ولدى قـد يـتـجـمع فى مكان ويتكاثر ثم يخـرج على الناس مثل الجـراد... لكن فى النهاية البعوضة حشرة ضعـيفة ويمكن الاحتماء منها.

نظر زياد ومؤمن لبـعضهما مـتسائلين: هل يصدقـهما إذا وصفا له حجم البعوضة، ثم قال مؤمن:

- سيدى... أرجو ألا أكون مبالغًا إذا أخبرتك أن حجم البعوضة الواحدة مثل حجم رجل بالغ.

توقع الاثنان من الشيخ حمامة أن يُدهش أو يكذبهما أو يتهمهما بإضـاعة وقته الثمين، لكنه على العكس نظر فى الأرض محتضنًا عـصاه ثم أطرق يفكر قليلاً ثم رفع رأسه وقال بنبرة حزينة:

- كم خشينا ذلك... اسمعا... تعالا خلفى.

سـاد الصـمت، وتبع كل منهـمـا خطوات العـجـوز البطيـئـة، حيث فـتح بابًا بـالقلعة إلـى ردهة طويلة على جانبها أبواب، غرف كثيرة... فـتقدم من إحداها وفتحه

ودخل وحده، ثم نادى عليهما، فلما دخلا أصابتهما صدمة المفاجأة:

- هل البعوض الذى فى القرية مثل هذه؟!.

توقف مؤمن وزياد فى ذهول أمام بعوضة واحدة محنطة تحتل غرفة وحدها وقد انتصبت بمساعدة بعض الخيوط والمسامير.. وقد أصابتهما الرهبة مع أنها محنطة.

عاد العجوز إلى القاعة وهما خلفه وهو لا يكف عن الحديث:

هذه البعوضة هى كل ما أملك من سرب يغطى عين الشمس كان يعيش فى غرب العالم... حيث القارات التى تمتلئ بوحوش وكائنات مخيفة، والغرب هو أخطر مكان يمكن أن يُصدِّر الشر والخراب لكل أنحاء العالم.....

وهنا قاطعه مؤمن بأدب:

- سيدى... ما العمل سيدى... كيف يمكننا القضاء على ذلك البعوض؟

تنهد الشيخ حمامة ثم قال:

- لم أجد على ظهر الأرض شيئًا يمقت البعوض ويمكنه التهامه وإفناءه مثل اليعسوب!!

- اليعسوب؟!!

- نعم يا زياد... اليعسوب من أقدم الكائنات على وجه الأرض... ولا يجد غذاء أفضل من البعوض.

تزحزح مؤمن كمن أراد أن يذكِّر الشيخ حمامة بأمر ثم قال:

- سيدى... البعوض فى حالتنا يحتاج إلى يعاسيب عملاقة. حتى زياد الذى بدأ يتجاوب مع كلام الشيخ

حـمـامـة تذكـر ذلك فـسكت، ونظر هو ومـؤمن إلى الشيخ حمامة كأنما يجولان داخل عقله الكبير، أما هو فأخـذ بنظره غرض ثابت فى نهاية القـاعة، وظل على حـالته هذه فـتـرة كأنما يتـلاعب خـياله بأحـد الحلول المستحيلة، وقام بهدوء مـتكئًا على عصاه ثم خرج من القاعة وكانا لا يدعيانه يغيب عنهما. ودخل إلى ردهة صغيرة... ودلف منها إلى قاعة أخرى تشبه الأولى فى ترتيبـها لكن بها نوعيـة مختلفة تمامًـا من الحشرات... لم يقـعـد.. بل اتجـه نحـو دولاب مـغلق وأخـرج منه مطوية ثـم راح وجلس ودعــاهمـا لـلجلوس وفــتح المطوية وقـال بـلهـجـة من يريد الإقنـاع: مـا خلق الله تعـالى داءً إلا وجعل له الـدواء... وما من قـوى على

هذه الأرض إلا وهناك من هو أقوى منه... يا مؤمن... خذ هذه المطوية وطالع ما بها.

فوجئ مؤمن بأنها عبارة عن خريطة وهناك أسهم وعلامات تشير إلى مكان بين جبال ورأى رسمًا ليعسوب كبير مثل البغل... لم يفهم.. لكنه بدأ يسأل:

- أين هذا المكان يا سيدى الشيخ فى الحقيقة؟!

ابتسم الشيخ وحدَّق بعينين معجبتين بذكاء مؤمن وقال:

- يعجبنى ذكاؤك أيها الغلام... لقد أدركت من فورك أن هذا المكان يعج باليعاسيب.

- سيدى... أين هذا المكان... وكيف نصل له.

- معذرة يا مؤمن.. انتظر.. يا سيدى الشيخ حمامة... أيعقل أن يوجد يعسوب بهذا الحجم. قال الشيخ حمامة بضيق لزياد:

- صاحبك لم يسأل هذا السؤال يا زياد... لأنه عقل أن بالوجود بعوضًا فى حجمك.. لذلك من الممكن أيضًا أن يعقل وجود يعسوب كبير عملاق أيضًا... اسمع يا مؤمن يا ولدى... بعد رحيلى فى كل أرجاء البسيطة عرفت ما لم يعرفه من البشر غيرى... هذا المكان يبعد مسيرة أيام عن هنا... وهو مقلق وتعيش به يعاسيب عملاقة... وهى لم تخرج من هناك منذ الأزل... كل ما أقدر عليه من معلومات أخبرتك به... إنه سلاحك الذى يمكنك به القضاء على

البعوض القاتل... لكن الكيف... للأسف لا أملك شيئًا أخبرك به.

صرخ زياد:

- ماذا تقول أيها الشيخ... ألن تخبرنا كيف نسوق كل هذه اليعاسيب إلى قريتنا. مط الشيخ شفتيه متأسفًا. نظروا كلهم إلى بعضهم نظرة الحيرة والخيبة، لكن مؤمن فى النهاية قام متثاقلاً وبيده المخطوطة ثم قال موجهًا حديثه للشيخ حمامة:

- هلا أخبرتنا فقط يا سيدى الشيخ عن هذا المكان بالتحديد.

- يا مؤمن... هل صدقت هذا الشيخ الذى يصرفنا من هنا بحيلة بارعة؟

- أنا أصدقه يا زياد... وأظنني أعرف طريقة نحمل بها اليعسوب للقرية. وفي هذه الآونة كان أهل القرية يجابهون بقوة وشدة جحافل البعوض مصاص الدماء النهم.

ففي الليل عاود هجومه، إلا أن كرات النار بدأت تضايقه، وظل يراوغ ويراوغ، فالجميع من فوق أسطح البيوت أخذوا يقذفونه بالشعلات النارية... وبعض الناس حبذ لو ظلت النار مشتعلة حول البيت وفوقه طيلة الليل... كانت المقاومة ناجحة وشرسة، وعجز البعوض في تلك الليلة عن إطعام نفسه كما كان يفعل من قبل. ومرت ليلة أخرى تعجب فيها أهل القرية... فالبعوض لم يظهر ولم يُسمع له صوت.

وهكذا فى الليلة الثالثة... كذلك كان مؤمن وزياد على وشك الوصول إلى بغيتهما... مؤمن يصدق وزياد مرتاب... كان المكان المقصود عبارة عن واحة بين الشعاب يتعذر على الناس الوصول إليها لوعورة الطريق وخطورة المسير... وقال مؤمن الذى أُرهق:

- الشيخ حمامة صادق يا زياد... ها هى الشعاب كما يبدو فى الخريطة.

- أرجو ذلك... وأتمنى أن أكون مخطئًا فى ظنى.

ورغم المعاناة والتعب والجوع والعطش أسرعا حتى فوجئا بالأرض توحل شيئًا فشيئًا.

- مؤمن... الجواد لا يستطيع أن يتقدم... الوحل هنا شديد.

- فلنترك جوادينا هنا ونتقدم على الأقدام... هنا.

الوحل العميق كان عائقًا كبيراً... ظلا يغوصان وهما يتقدمان.. حتى الرُكَب ثم الخِصْر... إلى أن وصل الوحل إلى أعلى الصدر، ومؤمن لا يفتأ يشجع زياد ويمنيه ممسكًا بيده حتى لا يغيب عنه.

انتهى الوحل عند سفح الجبل... فزحفا إلى الصخور زحفًا... ثم قاما بالدوران أسفل الجبل عسى أن يجدا مدخلاً إلى الواحة.. وبينما هما كذلك توقف زياد وصاح فى صاحبه:

- مؤمن... مؤمن... هل سمعت؟

- ماذا؟

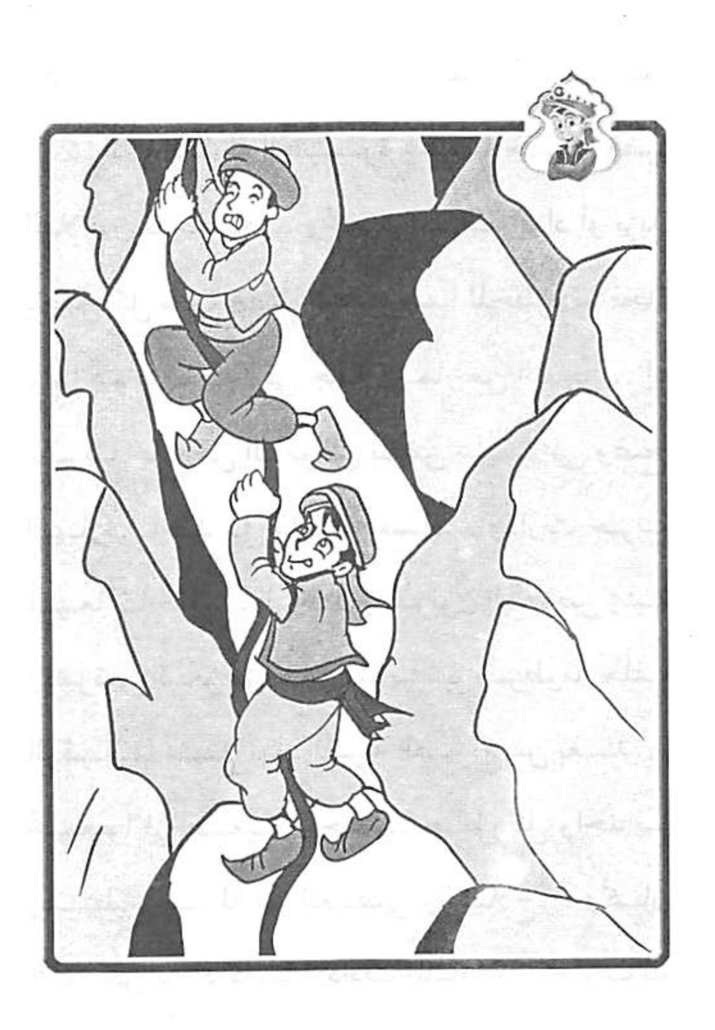
- أزيز... أزيز... يبدو أن الأمر حقيقة يا مؤمن.

شجعهما ذلك على التجلد ومقاومة التعب وزودهما بوقود الحماس.. ولاح لهما شق فى جانب الجبل فزحفا نحوه.... كان الشق مرتفعًا قليلاً فتسلقا.. واحة كبيرة.. شاسعة المساحة.. دائرية بين شعاب تخفيها عن الأنظار... هى مستنقع كبير ملىء بالطحالب والنخل والغاب اللذان يسدان الأفق... لكن ذلك لا يقارن فى روعته مع هذه اليعاسيب العملاقة التى تسبح فى الهواء برشاقة يعج بها الهواء وتزدحم بها الواحة... تبعث فى القلب الروع بقدر إعجابه بها:

– مؤمن... لا أكاد أصدق عيناى... ما هذا... سبحان الله.

- لو استطعنا حملها إلى القرية لحطمنا جيوش البعوض هناك ودمرناها تدميراً.

- مـؤمن... أصـبــحت أشك في قـدرتنا علـى تحـقـيق ذلك... أنا خائف.. خائف. أما في القـرية فقد اختفى البـعوض ليـلاً... إلا أنه أصـبح أكثـر مكرًا ودهاءً... فـأصبح يتـربص بالناس نهارًا... فـيالهـا من مصـيبـة حلت بهم... الرجل يمشي بالنهار متجهًا إلى عمله أو حـقله... فيـفاجـأ ببعـوضة تهـجم عليه من حـيث لا يدري ولا يحـتــسب... ضج الناس وأصـبــحـوا لا يدرون كــيف ينعـــمــون بالأمــان في بيــوتهم ولا حقولهم... البعوض يتلون بألوان الزرع... يموه نفسه فلا يفطن إليه أحد.



كـانت الكارثة الكـبيـرة عندمـا خـرج بعض الفلاحين للحـصاد... وتجمـعوا سبعـة أفراد أو يزيد يحمل كل منهم عصاه بجانبه تحسبًا للخطر، ثم فجأة بينما هم منهمكون فى جمع الثـمار من الشجر... إذ بسـرب جائع من البـعوض ينقض عليـهم فى وضح النهـار... أخـذ كل واحـد عصـاه... ودارت حـرب فظيـعة بـالحقل... الرجـال يضـربون البـعوض يمنيـه ويسرة... البـعوض يقاتل... ينشب خـرطومه خلف الرقـبـة... سـمع أهل القـرية الصـراخ من بعـيـد... تجـمعـوا فى صـعيـد واحـد... حـمل كل واحد مـا يسـتطيع حـمله من العـصى والسـلاح... وكـان البـعوض يزداد كلمـا ازدادت المقـاومة... حـرب لم

يسبق لها مثيل... تحـول الحقل إلى ساحة صراع بين الإنسان والحشـرة... استمرت لما يزيـد عن ساعة... نال فيها البعوض ما ناله... ومات من مات وبقى من بقى... وعـاد أهـل القـرية إلى بيـوتهـم يجـرجـرون المصـابين منـهم وكـذلك أرجلهم التى لـم تقـو على الكفاح الطويل.

وأدرك الناس بعد هذه الملـحمة الشـديدة... أن عليهم البقاء فى البيوت... لأن الخطر أصبح ليل نهار... وأُغلق باب وراء باب... وحُـبست الأنفـاس خلف الحـيطان... وانزوت الشجاعة خلف ستائر من الضعف والخذلان.

أما صـاحبنا مؤمن فـقد بدأ يستـعد هو الآخر ومـعه صاحبه زياد لملحمة أخرى:

- زياد... عليك أن تتحلى بالشجاعة فيما سيأتى إن شاء الله..

- ماذا ستفعل حتى تتحكم فى كل هذا القطيع العظيم من اليعاسيب.

- انظر يا زياد.

- يا إلهى... ما هذه.

- إنها عصاه... تعلوها كهرمانة كبيرة... وبها حشرة بعوض ضخمة.

- هذه... هذه تشبه عصاه الشيخ دعبس عمدة القرية.. من أين حصلت عليها يا مؤمن.

- أهداها لى الشيخ حمامة لما رآنى أنظر إليها بإعجاب.

- سبحان الله... وماذا ستفعل بها.

- لاحظت أن هذه الواحة خالية تمامًا من البعوض... بقى لنا نصف يوم وليلة ونحن نراقب اليعاسيب... وأظن أن مكانًا كهذا لا يمكن أن تنمو فيه بعوضة واحدة.

- نعم نعم... لا يوجد هنا بعوض... ماذا ستفعل يامؤمن بالله عليك؟

- اسمع يا زياد... لم يعد لدينا وقت للشرح... شاهدنى واتبعنى... سأحمل هذه العصاه وأتوجه بها نحو أكبر اليعاسيب... هناك.

- مؤمن... انتظر.. أريد أن أسألك سؤالاً قبل أن تكمل المهمة.

- تفضل يا زياد... وأسرع بالله عليك.

- لماذا يا مـؤمن تفـعل مـا تفـعل... لماذا تكابد وتغـامـر وتعرض نفسك للخطر هكذا.

ابتسم مؤمن وقال وهو يبدأ التحرك عبر الشق:

- إنها الجنة يا صديقى... الجنة... سلعة الله الغالية.

- والجواهر.. جواهر التاج؟

- ألست تدعـو الله قـائلاً ربنا آتنا فى الدنيـا حـسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟

- بلى يا مؤمن.

- إذاً هيا... فـالله يستجـيب الدعاء... هيا يا زياد.. عـبر مؤمن الشق كطائر صـغير يحمل العصـا بيده مما أفزع اليـعـاسـيب الكبـيـرة، فـهـذه أول مـرة يزور غـريب

المكان... وما إن وصل لأكبرها حتى وضع العصا بين عينيه... كان اليعسوب الكبير يحاول الابتعاد عنه... فلما رأى البعوضة المحفوظة بداخل الكهرمانة بدأ يقترب منها.. وكأن غريزته الطبيعية توجهه نحو الطعام... ومن فمه ذى المفاصل العجيبة حاول أن يختطفها من يد مؤمن إلا أن الأخير أبعد عنه العصا.. ثم جرى وعاد إلى الشق.. فتبعه اليعسوب الكبير وتبعته كل اليعاسيب... وقفز وزياد إلى أسفل الجبل وصرخ زياد:

- مؤمن... اليعاسيب تطاردنا.

صاح مؤمن وهو مشغول بما يفعل:

- زياد... يا زياد... إذا رأيتنى اعتليت اليعسوب الكبير فاعتل أنت واحدًا أيضًا.

وقف زياد مـرتبكًا وحائرًا ولا يدرى مـا يدور برأس مؤمن، واعتبره منذ تلك اللحظة أغرب شخص قابله فى حيـاته... وتذكر قول والده له إن العبـقرى إذا صاحبـته فلا تكثر معه الأسئلة واستعد دائمًا لمفاجآته.

كان مـؤمن يجرى مـقتـربًا من المنطقة الموحـولة وهو يرفع العصـا للأمام، وأصبح اليعـسوب الكبير قـيد أنملة منه، فـقفـز واعـتلاه كـمن يعـتلى حصـانًا ومـد العصـا أمـامه... من فـوق رأس اليعـسوب بحـيث يراها أمامـه فيطير ويحاول اللحاق بها.

وما كان على مؤمن فى هذه الحالة سوى أن يوجه العصا وهو يعتلى اليـعسوب للجهـة التى يريدها.. ولم يكن أمام اليـعسـوب إلا أن يطير ويطيـر ليـبلغ الكهرمـانة فى رأس العصا دون أن يفطن أنه لن يبلغها أبدًا لأنها بيد من يعتليه.



أما بقية اليعاسيب فهى تتبع كبيرها أينما ذهب.. واستطاع زياد لما رأى ما فعله مؤمن، أن يقفز فوق أحد اليعاسيب التى تزاحمت حوله فى طريقها خلف كبيرها... وكان المشهد مهيبًا ومخيفًا... فالسرب كبير، عظيم، لم يره أحد من قبل... واليعسوب الواحد فى حجم البغل أو الحصان.. فكان جيشًا عرمرمًا يجوب الصحراء يقوده غلام صغير عبقرى.. هو مؤمن.. كانوا يضربون الهواء بأجنحتهم ويثيرون الرمال والذعر فى قلب كل من يراهم.

لم يصل مؤمن بعد للقرية التى دام الحصار فيها طويلاً... فالشوارع خالية تمامًا من المارة... والمحال لم تعد تفتح أبوابها... وبدأ الزرع فى الحقول يذبل من

شدة العطش... فلا أحد يرعاه... ونفد الزاد فى كثير من البيوت فلم يقدر أحد على الخروج لطلب المساعدة... وما إن ترى القرية على البعد حتى تظن أنها مهجورة لا تسكنها إلا الأشباح والبعوض الشرس وهو يقف فوق الأسطح وعلى جذوع وفروع الأشجار وعلى أحبال نشر الملابس وفوق شرفات البيوت يتربص.. ينتظر.. كأنه يعلم جيدًا أن صبر أهل القرية قد نفد.. وأن بعضًا منهم لابد أن يخرج ليحضر طعامًا لأطفاله الصغار.

وتعالى البكاء من خلف الجدران... وانتظر الجميع عودة مؤمن وزياد... إلا أن البعض ظنوا أنهم فروا إلى غير رجعة، وحدث أن بكت طفلة من شدة الجوع حيث لم يبق بالبيت شيء يؤكل، فقررت أمها فى النهاية من

شدة بكاء الطفلة وجوعها أن تذهب لجارتها، لكن ما إن فتحت باب البيت حتى صرخ فيها جميع الجيران من خلف النوافذ لما رأوا البعوض يتحرك بسرعة نحوها... ولولا أن قذفت لها جارتها بحبات من البطاطس أخذتها بسرعة وأغلقت بابها لماتت طفلتها من شدة الجوع.

لاحت القرية من بعيد لمؤمن وزياد ذابلة خائفة كالخراب... لكن صوت اليعاسيب كالموج الهادر حركت حواس البعوض الشرس الذى يتمكن من شم رائحة عرق الإنسان من على بُعد أكثر من ستين كيلو متراً... فها هى تتحرك وتتجمع فى انتظار مؤمن وزياد. . فلما رأت اليعاسيب حاولت الفرار.

وما إن رأت اليعاسيب هذه الوجبة الكبيرة جداً

من البـعــوض جن جنونهـا وطاردتهــا... وابتـعـد البـعـوض عن القـرية فـأخـذ الناس يخـرجـون من البــيـوت وقـد ابـيـضت بشــرتهم من بُعــدهم عن الشمس... وأخـذوا يرتقون أسطح البيـوت لمشاهدة ما يحدث.

اليـعـاسـيب تهـجم على البـعـوض.. تفـتـرسـه.. البـعوض يفـر ويعود ليـدافع عن نفســه.. يقاتل عـدوًا لدودًا.. لكنه لا يـقـوى أبدًا عليـه. يظـل مـؤمن فـوق اليعسـوب الكبير بينما يـسقط زياد عن يعسوبه فـيعود إلى القـرية ليرى والده وأمـه ويطمئن عليـهمـا... يفر البعوض من حـقل إلى حقل.. تحيط به اليـعاسيب من كل جـهـة... مذبحـة البـعـوض الكبـرى... لم تفلت

واحدة... لم يعد هناك يعسوب جائع... يتراقص أهل القرية فوق الأسطح.. يعانق بعضهم بعضًا... يفر اليعسوب من منظرهم عائدًا إلى الواحة التى تربى فيها... يخطف الناس مؤمن يقبلونه ويعانقونه... ثم يرفعونه فوق الأعناق.

زال الخطر من القرية... ورفع الله تعالى عنهم البلاء لما صدقوا فى التوبة وأصلحوا من شأنهم فهو لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

تستمر الأفراح فى القرية فترة... يذبح الأغنياء ويأكل الفقراء ويشكرون مؤمن على صنيعه، لكنه يستحى من إطرائهم له... يقدم له الشيخ دعبس جوهرة ثم يضحكون عندما يقول زياد:

- كـان مؤمن يشـعر بالملل فـى قريتنا وظن أنه لن يقـوم فيها بمغامرة، فيالها من مغامرة يا مؤمن.

ابتسم مؤمن وقال:

- الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

تمت بحمد الله

*** *** ***

مغامرات عجيبة جداً

١- جوهرة الكهف المسحور.
٢- جوهرة البحر السابع.
٣- جوهرة البركان الأحمر.
٤- جوهرة مملكة الموتى.
٥- جوهرة الأدغال المتوحشة.
٦- جوهرة الصقيع المظلم.
٧- جوهرة البريق الغامض.
٨- جوهرة المدينة المتحجرة.
٩- جوهرة ميناء المذبح.
١٠- جوهرة الرمال الملتهبة.
١١- جوهرة معبد الشمس.
١٢- جوهرة السحر الأسود.
١٣- جوهرة مصاص الدماء.
١٤- جوهرة التنين الطائر.
١٥- جوهرة سجن المستحيل.
١٦- جوهرة الديناصورسام.
١٧- جوهرة عقلة الإصبع.
١٨- جوهرة المحيط المخيف.
١٩- جوهرة القلعة المسكونة.
٢٠- جوهرة الزهرة القاتلة.
٢١- الكنز الأسطوري.
٢٢- الأربعين حرامي.
٢٣- الذقن المتحركة.
٢٤- الأرض المقدسة.
٢٥- اجوهرة لتمساح الرهيب.
٢٦- جوهرة الجزيرة المجهولة.
٢٧- جوهرةا لمتاهة المخيفة.
٢٨- جوهرة السباق المحموم.
٢٩- جوهرة الفرقة الانتحارية.
٣٠- جوهرة العروق الذهبية.
٣١- جوهرة القلب الميت.
٣٢- جوهرة النفق الأسود.
٣٣- جوهرة الروح الشريرة.
٣٤- جوهرة وادي الهلاك.
٣٥- جوهرة الثقب الأسود.
٣٦- جوهرة حرب الكواكب.
٣٧- جوهرة عصر الزواحف.
٣٨- جوهرة لعنة الفراعنة.
٣٩- جوهرة الأخ الغائب.
٤٠- الأميرة والقرصان.
٤١- جوهرة معسكر الخطر.
٤٢- جوهرة السفينة الضائعة.
٤٣- جوهرة المنابع المجهولة.
٤٤- جوهرة العطش القاتل.
٤٥- جوهرة التاج المفقود.
٤٦- جوهرة السيف الذهبي.
٤٧- جوهرة مدينة الأهوال.
٤٨- جوهرة المومياء الغارقة.
٤٩- جوهرة الفيضان المدمر.
٥٠- جوهرة القارة المفقودة.
٥١- جوهرة الصقر الكبير.
٥٢- جوهرة جبل العسل.